ناميبيه الذي يرزح تحت وطأة احتلال جنوب افريقيه منذ أكثر من خمسين سنة ، وكذلك من قبل الافريقيين في روديسيه وانجولا وموزامبيق الذين يشهدون في الوقت الحاضر ليس فقط قوات جنوب افريقيه وهي تعمل ضد حركات التحرير ولكن ايضا يشهدون تدفقا من المستوطنين من جنوب افريقيه . وهناك ولا شك دروس يمكن ان يستخلصها الاسرائيليون أيضا من القسم الاكبر لطبيعة توسعية جنوب افريقيه اقتصاديا وسياسيا ، وهي « سياسة الخارج » ومن الملاحظ ان ابا ايبان يطالب باتباع سياسة مماثلة في اسرائيل تسمح بحرية التبادل والتجارة والافكار مع العالم العربي(٤).

ان من الصعوبات التي أوردتها سابقا هي ان هذا المجال واسع لدرجة ان كتابا واحدا رائدا في هذا المجال لا يقدر الا أن تتغاضى عن ذكر بعض المجالات الممكنة للمقارنة . فعلى سبيل المثال ، هناك فصل عن التضامن الاقليمي ضد الدول الاستيطانية ، ولكن دون معالجة الدور الذي لعبته ملاوي وبشكل مختلف ، سلطات الاردن لتحطيم هذا التضامن . ولو كان صحيحا ان « المستوطنين لا يعيرون أدنى اهتمام للضغط الدولي لانهم صمموا على المضي وحيدين في سبيلهم » ، فمن حسن حظهم ان تكون الدول المجاورة لهم ادوات طيعة في أيدي دول الاستعمار والاستعمار الجديد . بكل تأكيد ليس الامر انهم لا يتأثرون بالضغط الدولي ، ولكن حماتهم من الدول الامبريالية يحمونهم من هذا الضغط باستثناء روديسيه الى حد ما اذ انها محمية بشكل غير مباشر عن طريق جنوب افريقيه والبرتجال . وبالاضافة لما سبق ، هناك مجال آخر يمكن معالجته وهو امتزاج نشاط جنوب افريقيه واسرائيل في الاماكن الاخرى من العالم ، وخاصة في الدول الافريقية المستقلة . فمثلا ، لكليهما نفوذ في ساحل العاج — فهل كانت المسألة مجرد ضغط من فرنسه أن يدعو الرئيس هوفوويت — بويجني الى اجراء حوار مع جنوب افريقيه ؟ لقد كان اوبوتي ، رئيس جمهورية اوغنده من أقوى المعارضين لجنوب افريقيه . هل كان على علم بالانقلاب الذي أوحت به اسرائيل ضده ؟ وكذلك ، ما هي العلاقات التي تربط بين الدولتين على الصعيد السياسي والاقتصادي ؟ ما هي مهمة العسكريين من جنوب افريقية في اسرائيل ، وما هو مصدر رشاشات عوزي التي استولى عليها رجال العصابات في انجولا من البرتجاليين ؟ يذكر جبور ان المؤتمر الذي عقدته منظمة تضامن الشعوب الافرو — آسيوية في موشي بتنزانيه في ١٩٦٣ شجب العلاقات بين اسرائيل وبعض حركات التحرير الافريقية ، كما ان هناك انباء عن قيام مصانع جنوب افريقيه بانشاء مشاريع في الدول المتصالحة .

واخيرا ، أريد تسجيل ملاحظة مثيرة للدهشة وهي ان ذكر ناميبيه لم يرد اطلاقا في الكتاب ، اذ انه يمكن ايجاد نوع من الشبه بين ناميبيه وفلسطين — كانت كلتاهما تخضعان للانتداب، وفي الحالتين توجد جماعة مستوطنة تسيطر على البلاد ، في الاولى جنوب افريقيه وفي الاخرى اسرائيل ، انكرت على شعب فلسطين وشعب ناميبيه حقهما في الكيان المستقل .

وفي كلتا الحالتين ايضا ، يوجد لعصبة الامم وللامم المتحدة سجل حافل من التخاذل لحفظ حقوق الشعب ، والدولة المستعمرة فعلت الشيء نفسه. يمكن للمرء ان يدهش عندما يعلم ان منظمة شعوب جنوب غرب افريقيه (سوابو) ، في ناميبيه هي من اكثر حركات التحرير في جنوب افريقيه استنكارا لمواقف الاسرائيليين وتأييدا لحركة المقاومة الفلسطينية .

وبسبب اهمية حركات التحرير في افريقيه والعالم العربي ضد الدول الاستيطانية ، والعلاقات فيما بينها ، يمكن للمرء ان يتوقع وضع برنامج مكثف من البحث حول اوجه الشبه والعلاقات بينهما . فمثل هذا البرنامج ، بكل تأكيد ، سيكون ذا فائدة جمة لمنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية واهالي جنوب افريقيه والفلسطينيين . ومع هذا ، فان البداية قد وضعت ، على الاقل . فلو نجح كتاب جبور في اثارة مزيد من الدارسين ، كما يعرب عن أمله في مقدمة الكتاب ، فان ذلك وحده سيكون عملا مفيدا . وكأول محاولة كبرى على صعيد اظهار أوجه الشبه بين الانظمة الاستيطانية ، فان تلخيص نقاط الالتقاء والعلاقات سيكون عملا رائعا . والان، وقد أصبح الهيكل جاهزا ، على الاخرين ان يتقدموا ويملأوا الفراغ في بعض الاجزاء بمزيد من التفاصيل.

بيتر هيلير

---

٤ — نايدنين ماك ديرموت، في « فري بالستين »، كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ .